قال البخارِي فى صحيحه: " حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْـمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُواُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:
تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَـنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وَنَكَحَ عَائِشَـةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِـنِينَ ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ "

حديث الإفك يرد على رئيس قسم البحوث الإسلامية فى "اليوم السابع"

روايات الكذب والتدليس وحديث الطاعنين فى سن زواج عائشة أم المؤمنين !

أثار اهتمامي ما كتبه أحد المنتسبين للبحث العلمي في العدد الأول من جريدة " اليوم السابع " عن " كذب " ما رُوي في كتب السنة ـ وعلى رأسها صحيح البخاري ـ من زواج النبي (ص) من عائشة بنت الصديق ، وهي في التاسعة من عمرها ، وأن العمر الصحيح لعائشة آنذاك كان ١٨ عاما ، واشتد اهتمامي حين اطلعت على الأدلة المحكمة التي استند إليها في رأيه هذا، مما دفعني للعودة إلى المصادر التي ذكرها.

واستغرق مني البحث أسبوعين، حتى توصلت إلى النتيجة التي اطمأن إليها قلبي وضميري، وهي باختصار أن السيد الكاتب مخطيء فيما توصل إليه ، وأن الإحكام الذي بدا على أدلته هو إحكام ظاهري زائف ، ينهاوي أمام التحقيق العلمي، والمنطق الصحيح ، وإليكم التفصيل:

أولاً ـ نقض الأدلة التي اعتمدت على الروايات :

نبدأ بما ساقه الكاتب من روايات في كتب الحديث والتاريخ للتدليل على رأيه ، وكان أبرز ما أورده في هذا المقام :

ـ قال الكاتب : أخرج البخارى نفسه (باب: جوار أبى بكر فى عهد النبى) أن (عائشة) قالت: «لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفى النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبَل الحبشة», ولا أدرى كيف أخرج البخارى هذا، فـ (عائشة) تقول إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين, وذلك قبل هجرة الحبشة كما ذكرَت، وتقول إن النبى كان يأتى بيتهم كل يوم، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهذه الزيارات، والمؤكد أن هجرة الحبشة، إجماعا بين كتب التاريخ كانت فى عام (٥) من بدء البعثة النبوية ما يوازى عام (٦١٥م)، فلو صدقنا رواية البخارى أن عائشة ولدت عام (٤) من بدء الدعوة عام (٦١٤م)، فهذا يعنى أنها كانت رضيعة عند هجرة الحبشة، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبوى) وكلمة أعقل لا تحتاج توضيحا، ولكن بالحساب الزمنى الصحيح تكون (عائشة) فى هذا الوقت تبلغ (٤ قبل بدء الدعوة، + ٥ قبل هجرة الحبشة = ٩ سنوات) وهو العمر الحقيقى لها آنذاك.

الرد : لو أكمل الكاتب الحديث لنسفت التكملة كل ما بناه الكاتب عليه ، فالتكملة توحي بأن شروع أبي بكر في الهجرة للحبشة كان قبل الهجرة إلى المدينة بمدة يسيرة ، ففي بقية الرواية تقول عائشة : إن أبا بكر خرج مهاجرا فلقيه سيد من سادات مكة يدعى "ابن الدغنة " يعرف فضل أبي بكر وخلقه، فرده وأدخله في جواره ، ولكن القرشيين اشترطوا لينصرفوا عن إيذاء أبي بكر ألا يجاهر بصلاته وعبادته ، كيلا يتأثر نساؤهم ولا أطفالهم بالدعوة الجديدة، فقبل أبو بكر ولبث يعبد الله في داره ، ثم بنى مسجدا في فناء داره ، فجذبت قراءة أبي بكر وبكاؤه نساء المشركين وأطفالهم ، ففزع أشراف قريش من المشركين إلى ابن الدغنة يشكون مخالفة أبي بكر للاتفاق ، وانتهي الأمر بأن رد أبو بكر جوار ابن الدغنة ، تقول عائشة: " فقال أبو بكر : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله (عز وجل) ، والنبي (ص) يومئذ بمكة ، فقال النبي (ص) للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله (ص): على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي ، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال: نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (ص) ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر ..." .

واضح من الحديث أن تصريح النبي (ص) بالهجرة للمدينة أعقب رد أبي بكر لجوار ابن الدغنة ، وأن الهجرة للمدينة بدأت منذ ذاك الوقت ، وأن أبا بكر غير وجهة هجرته ، وتجهز للهجرة للمدينة منفردا ، لولا أن رسول الله أبقاه معه ، وبعد ذلك بأربعة أشهر هاجر النبي (ص) وصاحبه، فالأحداث هنا بعيدة عن السنة الخامسة من البعثة ـ حين هاجر المسلمون هجرتهم الأولى للحبشة ـ قريبة من الهجرة للمدينة في العام الثالث عشر من البعثة ، والأظهر أن هجرة أبي بكر للحبشة كانت هجرة فردية، نجاة من الاضطهاد ، بعد أن هاجر أكثر المؤمنين إلى الحبشة ، وخلا الجو لقريش لتضطهد النبي وصاحبه والضعفاء الذين عجزوا عن الهجرة ، خاصة بعد وفاة أبي طالب وخديجة ، وليس في الحديث مطلقا أن هجرة أبي بكر كانت ضمن الهجرة الأولى للحبشة ، ولو افترضنا أن المدة التي بقي فيها أبو بكر متمتعا بحماية ابن الدغنة امتدت سنوات ، فإنها لن تمتد لثماني سنوات ، من العام الخامس للبعثة حتى العام الثالث عشر ، ولننتبه لـ" لغاء التعقيب " التي استخدمتها أمنا عائشة في الحديث لتوحي بتتابع الأحداث .

الظاهر من الملابسات المذكورة أن هذه الأحداث وقعت بعد السنة العاشرة من البعثة، بعد أن تجاوزت عائشة السنة السادسة من العمر ، وكان من الطبيعي أن تعقل حدثا كهذا ، فهجرة الأب ليست بالشيء اليسير الذي يمر على أحد أعضاء الأسرة ، ولو كان في السادسة من عمره ، وهي ليست بسن عدم التمييز والإدراك ، وإلا ما جعلها التربويون بداية للسلم التعليمي الأساسي .

ـ يقول الكاتب: أخرج البخارى فى (باب- قوله: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) عن (عائشة) قالت: «لقد أنزل علي محمد بمكة، وإنى لجارية ألعب «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»، والمعلوم بلا خلاف أن سورة (القمر) نزلت بعد أربع سنوات من بدء الوحى بما يوازى (٦١٤م), فلو صدقنا رواية البخارى تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة, ولكن (عائشة) تقول (كنت جارية ألعب) أى أنها طفلة تلعب, فكيف تكون لم تولد بعد؟ ولكن الحساب المتوافق مع الأحداث يؤكد أن عمرها عام (٤) من بدء الوحى، عند نزول السورة كان (٨) سنوات، كما بينا مرارا وهو ما يتفق مع كلمة (جارية ألعب).

الرد : لا أدري من أين جاء الكاتب بأن سورة القمر نزلت بلا خلاف في السنة الرابعة من الهجرة ، رغم أن أقوال المفسرين ، وبعض روايات الصحاح تقول إن انشقاق القمر الذي افتتحت به السورة كان قبل الهجرة إلى المدينة ، في نهايات سنوات البعثة ، ومما يؤكد ذلك أن سورة القمر نزلت بعد سورة النجم بسور ، حسبما ذكر الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن" ، وقد سجلت سورة النجم أحداث المعراج إلى السماء ، والتحقيق يقول إن معجزة الإسراء والمعراج لم تقع قبل السنة العاشرة من البعثة ، إذن سورة القمر نزلت في السنة العاشرة أو بعدها ، وكانت عائشة يومها في السادسة من عمرها تلعب في مكة ، والسورة لم تنزل جملة واحدة ، وقد وعت عائشة نزول آية " بل الساعة موعدهم ..." ، ولم تقل في الحديث إن السورة كلها نزلت في ذلك الوقت .

وقد نقل القرطبي قولاً عن ابن عباس أن آية " بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ " نزلت قبل موقعة بدر بسبع سنوات، أي في السنة الثامنة من البعثة ، نذكر هذا لننسف الإجماع الذي قال به الكاتب !

ـ يقول الكاتب : أخرج الإمام (أحمد) أيضا عن (خولة بنت حكيم) حديثا طويلاً عن خطبة عائشة للرسول، ولكن المهم فيه ما يلى: «قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه, ووالله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه... لعلك مصبى صاحبنا», والمعنى ببساطة أن (المطعم بن عدى) وكان كافراً قد خطب (عائشة) لابنه (جبير بن مطعم) قبل النبى الكريم, وكان (أبو بكر) يريد ألا يخلف وعده, فذهب إليه فوجده يقول له : لعلّى إذا زوجت ابنى من (عائشة) يُصبى أى (يؤمن بدينك), وهنا نتوقف مع نتائج مهمة جدا وهى: لا يمكن أن تكون (عائشة) مخطوبة قبل سن (٦) سنوات لشاب كبير- لأنه حارب المسلمين فى بدر وأحد- يريد أن يتزوج مثل (جبير)، كما أنه من المستحيل أن يخطب (أبو بكر) ابنته لأحد المشركين وهم يؤذون المسلمين فى مكة, مما يدل على أن هذا كان وعداً بالخطبة, وذلك قبل بدء البعثة النبوية حيث كان الاثنان فى سن صغيرة، وهو ما يؤكد أن (عائشة) ولدت قبل بدء البعثة النبوية يقيناً.

الرد : نرى أن الكاتب تعسف في الاستنتاج من هذا الحديث ، فمن أدرانا سن الجبير بن المطعم في بدر وأحد ، وأنه كان كبير السن؟ وعموما هو عاش بعد الهجرة ٥٩ سنة ولم نقع على تاريخ مولده ، وحتى لو كان الجبير كبيراً ، فإن العرب لم تكن تجد في السن عيباً ، وقد تزوج عمر بن الخطاب، مثلا، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بكراً ، وهو الذي كان في الأربعين حين تزوج علي وفاطمة ، وأحسب أن التكهنات في سن الجبير بن المطعم لن توصل ليقين ، ما يهمني هنا هو أن أشير لمسألة لم يلتفت إليها الكاتب ، وهي وجود علاقة صداقة بين أسرتي المطعم بن عدي وأبي بكر ، وأن الجبير لازم أبا بكر فترة من الزمن ، يدل على ذلك ما رواه بن سعد في" الطبقات الكبرى " من أن الجبير تتلمذ على أبي بكر في تعلم أنساب العرب :" وقال جبير أخذت النسب عن أبي بكر الصديق وكان أبو بكر أنسب العرب " ، فما يمنع أن يخطب الجبير ابنةً معلمه توثيقاً للعلاقة به ، ونحن نعلم ما أثر عن أبي بكر من حسن خلق ولين معشر ؟

ثانيا ، قال الكاتب إنه يستحيل أن يقبل أبو بكر خطبة أحد المشركين وهم يؤذون المسلمين في مكة ، ولكن من قال إن المطعم أو ولده كانا يؤذيان المسلمين ؟؟ إن المطعم هو من أجار النبي (ص) في دخوله مكة عائد من الطائف ، وقد حفظ له النبي (ص) هذا الجميل ، وقال في أسرى بدر : لو كان المطعم حياً لوهبته إياهم ، وقد سجل التاريخ للمطعم موقفاً مشرفاً آخر ، أنه كان ممن قاموا لنقض صحيفة حصار بني هاشم، وقد شهد النبي (ص) لجبير بن المطعم وهو مشرك ، كما روي صاحب كتاب " أسد الغابة في معرفة الصحابة " عن ابن عباس أن النبي (ص) قال ليلة قربه من مكة في غزوة الفتح: "إن بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام: عتاب بن أسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو".

أما عن الخطبة لمشرك فقد كان ذلك في الفترة المكية ، حيث لم ينزل تشريع تحريم نكاح المشركين والمشركات ، وفي نزول التحريم دليل على أن المسلمين كانوا ينكحون المشركين والمشركات قبل ذلك ، وقد رأينا كيف بقيت زينب بنت رسول الله على زواجها من مشرك (العاص بن الربيع) حتى الهجرة ، ثم قدومه مسلما ، ولعل أبا بكر كان يرغب في استمالة الجبير للإسلام، كما قال المطعم في الحديث .

ـ يقول الكاتب : حساب عمر (عائشة) مقارنة (بفاطمة الزهراء) بنت النبى: يذكر (ابن حجر) فى (الإصابة) أن (فاطمة) ولدت عام بناء الكعبة، والنبى ابن (٣٥) سنة، وأنها أسن -أكبر- من عائشة بـ (٥) سنوات، وعلى هذه الرواية التى أوردها (ابن حجر) مع أنها رواية ليست قوية، ولكن على فرض قوتها نجد أن (ابن حجر) وهو شارح (البخارى)، يكذب رواية (البخارى) ضمنياً، لأنه إن كانت (فاطمة) ولدت والنبى فى عمر (٣٥) سنة, فهذا يعنى أن (عائشة) ولدت والنبى يبلغ (٤٠) سنة، وهو بدء نزول الوحى عليه، ما يعنى أن عمر (عائشة) عند الهجرة كان يساوى عدد سنوات الدعوة الإسلامية فى مكة وهى (١٣) سنة, وليس (٩) سنوات، وقد أوردت هذه الرواية فقط لبيان الاضطراب الشديد فى رواية البخارى.

أبو بكر لم يفكر فى الهجرة إلى الحبشة فى أول البعثة النبوية وهذا هو الدليل!

■■

الاعتماد على سورة القمر فى تحديد سن السيدة عائشة خطأ كبير!

■■

لهذه الأسباب وافق أبو بكر على خطبة السيدة عائشة لرجل مشرك!

■■

المقارنة بين عُمر السيدة أسماء والسيدة عائشة تناقض البحث العلمى الصحيح!

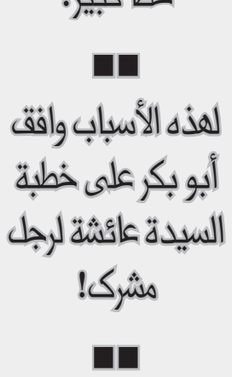

الرد : ارتكب الكاتب خطأً علمياً فاحشاً ها هنا حين اتهم ابن حجر بتكذيب رواية البخاري ، والأكبر أن الكاتب اجتزأ كلام ابن حجر ، واقتطع منه ما يوافق هواه ، دون أن يورد كلام ابن حجر كاملاً ، فقد قال ابن حجرٍ في ترجمته لفاطمة رضي الله عنها: " واختُلف في سنة مولدها ، فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال: قال العباس وُلدت فاطمة والكعبة تبنى ، والنبي (ص) ، ابن خمس وثلاثين سنة ، وبهذا جزم المدائني ، ونقل أبو عمر عن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي (ص) ، وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر ، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين ، وتزوجها على أوائل المحرم سنة اثنتين بعد عائشة بأربعة أشهر ، وقيل غير ذلك " ، فابن حجر أورد الروايات ولم يجزم بشيء ، ومما أورد أنها ولدت قبل البعثة بسنة ، وأنها أسن من عائشة بخمس سنين ، أي أن عائشة ولدت في الرابعة من البعثة ، ثم إن ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري أيد البخاري فيما رواه من سن عائشة ، ومولدها في العام الرابع من البعثة ، فلماذا لم يأخذ الكاتب بقول ابن حجر في شرحه للبخاري ، ما دام استشهد بقوله في هذا الموضع ، أهو الانتقاء من النصوص حسب الهوى ؟ نرجو ألا يكون ذلك ..

ـ يقول الكاتب : وما يعضد ذلك أيضا أن (الطبرى) يجزم بيقين فى كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد (أبى بكر) قد ولدوا فى الجاهلية, وذلك ما يتفق مع الخط الزمنى الصحيح, ويكشف ضعف رواية البخارى، لأن (عائشة) بالفعل قد ولدت فى العام الرابع قبل بدء البعثة النبوية.

الرد: أحسب الكاتب أساء فهم كلمات الطبري، فالطبري لم يقل إن أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية ، بل قال في معرض ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق:" حدث علي بن محمد عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه قال : تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة ، ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي، قالوا: وهي قتيلة ابنة عبدالعزى ... فولدت له عبدالله وأسماء ، وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان بنت عامر بن عميرة... فولدت له عبدالرحمن وعائشة ، فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية، وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب... فولدت له محمداً بن أبي بكر وتزوج أيضا في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج ، وكانت نسأ حين توفي أبو بكر فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم ... " .. فالطبري يقسم نساء أبي بكر حسب تاريخ زواجه بهن ، وقال إن أم عائشة تزوجها أبو بكر في الجاهلية، هي وأم أسماء، وقد فهم الكاتب أن الجار والمجرور " في الجاهلية " متعلق بكلمة "ولدوا " ، والأقرب أنه متعلق بكلمة " سميناهما " ، للتمييز بين زوجات الجاهلية والإسلام ، ولو كان غير ذلك لقال الطبري: فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا في الجاهلية من زوجتيه اللتين سميناهما .

ـ يقول الكاتب : إن المقارنة بين عمر أسماء وعائشة ، تقول إن عائشة قد ولدت قبل البعثة بأربع سنوات، فأسماء أسن من عائشة بعشر سنوات، وهي قد ولدت قبل البعثة بأربع عشرة سنة، إذن عائشة ولدت قبل البعثة بأربع سنوات، وهو يعيد الحسبة نفسها في تاريخ الوفاة.. وهو كالعادة يقرر إجماع المؤرخين على ذلك .

الرد : وبداية نقول : ليس في الأمر إجماع، ولا أدري إصرار الكاتب على كلمة الإجماع هذه ، رغم تعدد الروايات في أغلب الأحداث التاريخية ، والغريب أن من نقل أن أسماء ماتت عن مائة سنة ـ وهي الرواية التي بنى الكاتب دراسته عليها ـ هو نفسه هشام بن عروة راوي حديث زواج عائشة في التاسعة ، الذي اتهمه الكاتب بعدم المصداقية والتدليس!! ونؤكد أن فارق العشر سنوات بين أسماء وعائشة غير مجمع عليه كما أوهمنا الكاتب ، وقد قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء " إن أسماء كانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة ، وقد اعتمد القائلون بفارق العشر سنوات على رواية ابن الزناد ، ، وقد جمع الكاتب بين رواية هشام بن عروة عن سن وفاة أسماء بنت أبي بكر ، ورواية بن الزناد عن فارق العشر سنوات وعمل الحسبة التي خرج بها برأيه ، والحقيقة أني أميل إلى اعتبار العشر سنوات فارقا بين أسماء وعائشة ، وأميل إلى أن أسماء هاجرت في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت ابنها البكر عبد الله بن الزبير في العام نفسه ، وذلك استبعادا مني أن تكون أسماء أسن من زوجها الزبير بن العوام ، فالظاهر من الروايات التاريخية أنه كان من سن الإمام علي بن أبي طالب ، أي بلغ ٢٣ عاما وقت الهجرة ، وشخصيا أستبعد أن يكون الزبير أحدث من أسماء في السن ، وأن تتأخر أسماء في الزواج والإنجاب حتى سنها المذكورة (٢٧ سنة)، والحقيقة أن التواريخ والروايات متعددة ، بما لا يجعل لبعضها فضلاً على بعض ، ويجعل الاستدلال بالمقارنة بين سني أسماء وعائشة غير فاصل في المسألة.

نقض كلام الكاتب عن السند:

تعرض الكاتب لسند حديث البخاري، وتناول هشام بن عروة بما لا يليق به على النحو التالي :

ـ يقول الكاتب: وكما نرى ترجع كل الروايات لراو واحد وهو (عروة) الذى تفرد بالحديث عن أم المؤمنين (عائشة) وتفرد برواياته عنه ابنه (هشام), وفى (هشام) تكمن المشكلة ...

الرد: لنفترض أن هشاماً هذا كاذب ، وليس ثقة كما قال أغلب كبار علماء الجرح والتعديل ، فقد وردت الروايات بسن عائشة لدى زواجها عن أكثر من طريق غير طريق هشام بن عروة ، لدى الإمام مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأحمد ، والبيهقي في سننه الكبرى ، والحاكم في المستدرك ، والطبراني في المعجم الكبير ،

دعك من توثيق العلماء لهشام بن عروة ، فقد وثقه يحيى بن معين ، كما يروي صاحب كتاب "تهذيب الكمال " ، ويحيى بن معين من المعروفين بتشددهم في توثيق الرواة، كما وثقه جمع من العلماء أمثال : ابن حجر، وابن حبان ، وأبو حاتم ، والعجيلي، وروى له الجماعة ، ووثقه الذهبي في ميزان الاعتدال ، وقال عنه: "هشام شيخ الإسلام"، ودفع عنه التهمة فيما روي عنه من اختلاط أو تساهل في الرواية .

روايات حديث الإفك ترد على الكاتب :

لحديث الإفك المروي في البخاري ميزة فريدة ، هي أن ابن شهاب الزهري جمعه من مجموعة من التابعين هم : عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكلهم أخذ الحديث من عائشة رضي الله عنها ، ويحكي ابن شهاب كيف قارن بين الروايات ، ووجدها يصدق بعضها بعضاً ، بما لا يدع مجالاً للريبة فيما نقله الرواة ، إلا إذا كنا نتهم عائشة في صدقها (معاذ الله) ، وما يهمنا من هذا الحديث الطويل هو قول عائشة عن نفسها حين وقع الإفك في السنة السادسة من الهجرة " فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ..."، وحسب كلام الكاتب فإن عائشة كانت في سن الرابعة والعشرين حينذاك ، فهل يقال لغة وعرفاً عمن بلغت هذه السن : جارية حديثة السن ؟؟ وقد تكرر الوصف في الحديث نفسه على لسان بريرة إحدى الجواري التي كانت تخالط عائشة ، قالت بريرة لرسول الله (ص) في شهادتها عن سلوك عائشة :" والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله .."

ها هو حديث ليس فيه هشام بن عروة ، تصف فيه صاحبة الشأن نفسها بحداثة السن، وأنها كانت دون العشرين يقيناً، فما يقول كاتبنا ؟ ولنتذكر أنه قال إن عائشة كانت جارية في الثامنة حين نزلت سورة القمر ، فهل بقيت جارية حتى الرابعة والعشرين ؟

ثانياً ـ نقض الأدلة العقلية :

يقول الكاتب : أخرج الإمام (أحمد) فى (مسند عائشة): «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تتزوج, قال: من, قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً, قال: فمن البكر ؟ قالت: أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبى بكر», وهنا يتبين أن (خولة بنت حكيم) عرضت البكر والثيب -المتزوجة سابقاً- على النبى، فهل كانت تعرضهما على سبيل جاهزيتهما للزواج، أم على أن إحداهما طفلة يجب أن ينتظر النبى بلوغها النكاح، المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضهما للزواج الحالى بدليل قولها (إن شئت بكرا وإن شئت ثيباً) ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة فى ذاك الوقت طفلة فى السادسة من عمرها، وتعرضها (خولة) للزواج بقولها (بكراً).

الرد : بنفس منطقك إذا كانت عائشة جاهزة للزواج حين عرضتها خولة بنت حكيم، وكان ذلك في السنة العاشرة من البعثة (سنة موت خديجة) أو بعدها بقليل، فلماذا تأخر الزواج بها ما يقرب من أربع سنوات، ولماذا عقد النبي (ص) على عائشة، دون أن يدخل بها ، مرجئاً الدخول ثلاث سنوات، في الوقت الذي عقد فيه على أم المؤمنين سودة ودخل بها ؟

الجواب المنطقي أن عائشة لم تكن جاهزة فسيولوجيا للزواج حينها ، وانتظر النبي (ص) بلوغها ، وعلى هذا فالكاتب يناقض نفسه !!

يقول الكاتب : - أخرج البخارى (باب- لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) قال رسول الله: «لا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها قال أن تسكت», فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكسه, فالحديث الذى أورده البخارى عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت كنت ألعب بالبنات - بالعرائس - ولم يسألها أحد عن إذنها فى الزواج من النبى, وكيف يسألها وهى طفلة صغيرة جداً لا تعى معنى الزواج, وحتى موافقتها فى هذه السن لا تنتج أثراً شرعياً لأنها موافقة من غير مكلف ولا بالغ ولا عاقل.

الرد : أنت قلت إن العرب كان من عادتهم الخطبة في سن صغيرة ، وكانت خطبة عائشة لجبير بن المطعم أو للنبي (ص) في الفترة المكية ، ولم تكن أحكام النكاح قد تكاملت بعد ، وقد جعل الشرع للبنت في هذه الحالة حين تبلغ أن تمضي الخطبة ، أو أن تحلها ، كما بين الإمام أبو حنيفة ، ووفق هذه الأحكام فالنكاح صحيح ، فقد بلغت عائشة في سن التاسعة ، والبلوغ هو مناط التكليف ، ولم يؤثر عنها أنها رفضت الزواج من النبي (ص) ، فهل بلغك أيها الكاتب أنها رفضت ؟ ثم إن الكاتب لم يورد دليلاً على أن أباها استأذنها في الزواج وهي في الثامنة عشرة حسبما يقول ؟ فهو ـ أي الكاتب ـ يعتبرها وافقت موافقة ضمنية على الزواج برسول الله (ص) ، وهي بالغة في الثامنة عشرة ، بإقرارها النكاح ، ونحن نعتبرها وافقت موافقة ضمنية كذلك وهي بالغة في سن التاسعة ، فالدليل ضمني في كلتا الحالتين؟!

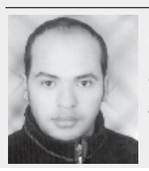

محمود عبده
باحث في العلوم الإسلامية